« عبد الله على إبراهيم » : الشريعة والحداثة
مبحث فى جدل الأصل والعصر

دار الأمين ، القاهرة ٢٠٠٤ (١٧٤ صفحة)

هـذا كـتاب لباحث سودانى ، يعالج موضوعًا ندرت الكتابة فيه ، وهو حركة التشـريع والقـانون والقضـاء على مدى القرنين الماضيين . ومجال الكتاب يعد مجالاً مهملاً نحن فى أشد الحاجة إلى أن تتجه جهود الباحثين إليه ، ممن تتوافر لديهم دقة نظر المتخصـص ، وشمـول الـنظرة الثقافـية العامـة ، مع التحلى بأكبر قدر ممكن من الموضوعية .

والكـتاب يتـناول : منشـأ التجديد الإسلامى فى السودان الذى يوصف عادة « بالأصـولية » الإسـلامية . ويعارض الكتاب منهج « التحديث » الذى يرى فى التمسـك بالتراث التقليدى ردة عن طريق التحديد ، ويتناولها تناولاً نقديًا من زاوية ارتـباط ما سمى بالتحديث بالزحف الغربى على بلاد الإسلام ، الذى استهدف مسخ هويتها ، وبإطار منهجى عالج الدين فى سياقه السياسى والاجتماعى والتاريخى ، ومن ثم أبـرز فهمـه للأصـولية باعتبارها مشروعًا « تحرريًا » على ضوء دراسته للنظام القضائى فى السودان .

ويقـع الكـتاب فى سبعة فصول ، عالج الفصل الأول : الأسلوب الذى أدار به القـانون الوضـعى خلال الفترة الاستعمارية – ظهره للشريعة الإسلامية ، فيما عده « استشـراقًا داخليًا » . وتناول فى الفصل الثانى : صراع القضاة الشرعيين والمدنيين والـتجديد الإسـلامى فى السودان . وفى الفصل الثالث : قدم دراسة تحليلية للتجديد القانونى المستمد من الشريعة ، الذى عده « متقدمًا » مقارنة بما اتسمت به الحداثة من « الرجعية ». وخصص الفصل الرابع : لفكر "حسن الترابى" الذى يقدم رؤية للتجديد

الإسلامى ، على حين قدم فى الفصل الخامس : فكر القانونيين الجامعيين وتأثيره السلبى عـــلى قـــوام الجامعة الإسلامية ، وقدم فى الفصلين الأخيرين من الكتاب : نماذج من أفكار "عبد الله الشيخ البشير" ، و"الشيخ مدثر البوشى" .

ومـــن الغريـــب ، أن الكتاب لا ينتهى بخاتمة يقدم فيها المؤلف ما توصل إليه من نتائج، ربما لأن طريقته فى المعالجة كانت انعكاسًا لنتائج توصل إليها من خلال الدراسة والعمـــل السياسى ، ثم راح يعالجها فى الجزئيات التى كونت الفصول السبعة ، ولكن القـــارئ يحتاج إلى استخلاص الرؤية التى تمثل محور الدراسة . كذلك قدم فى موضوع قائمـــة المـــراجع : كـــلمة عامة أشار فيها إلى بعض ما أفاد به من الكتب وبعض من شـــاركهم قضايا الكتاب من الأصدقاء والمتخصصين ، ولكن ما يعطى الدراسة مذاقًا خاصًا إبرازها للخصوصيات الوطنية السودانية ، يضعها فى مكانها الصحيح عن دراسة مصـــر أو غيرهـــا مـــن الأقطـــار العربية الأخرى . وخاصة نظرته إلى تقنين الشريعة الإسلامية باعتبارها : « حركة تحررية » من ثقافة الاستعمار .

ر . ع